

# نَجِينُهُمْ بِسَحْرِ

المهندس  
عبد  
الرفاعي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ

.. خصوصية القرآن الكريم ، تجعل من الدلالات الكامنة في النص المكتوب فيه ، أكثر بكثير من الدلالات التي نقرأها في أيّ زمانٍ ومكانٍ من هذا النصّ ذاته .. فهناك فارقٌ بين القرآن المكتوب والقرآن المقروء في أيّ زمانٍ ومكان ، وهو ذاته الفارق بين علم الله تعالى لما كان ويكون وسيكون ، وبين علمنا نحن ..

.. وبالتالي فإنّ محاولة فهم النصوص القرآنيّة – حتى تلك التي تحمل الحدود الواضحة – على أنّها لا تحمل إلاّ التصرّو التاريخي لدلالاتها ، هي جحدٌ بماهيّة القرآن الكريم الذي نزله الله تعالى تبياناً لكلّ شيءٍ من جهة ، وبحقيقة التطوّر الحضاري من جهةٍ أُخرى ، وهي محاولة لتقديم النصّ القرآنيّ على أنّه نصّ تاريخيٌّ ، يتجاوز الزمن ، وبحاجةٍ إلى ما يُكمّله ..

.. فهناك فارقٌ كبيرٌ بين أن نبحر في دلالات القرآن الكريم ونعاير تصوّراتنا على دلالاته المجردة من جهة ، وبين أن نحاول إجبار دلالات القرآن الكريم للمرور في أنفاق تصوّراتنا المسبقة الصنع ، معايرين دلالاته على هذه التصوّرات ، من جهةٍ أُخرى ..

.. ونحن لا نعني بالدلالات المجردة أو هاماً تأتي بها من جيوبنا ، كما يتخيّل بعض التائهين .. أبداً .. فما نعنيه هو روح الدلالات النابعة من الجذر اللغوي الذي تفرّعت عنه الكلمة التي نحن بصدد دراسة دلالاتها ومعانيها ، وذلك وفق منهجٍ علميٍّ يأخذ بعين الاعتبار جميع الكلمات المتفرّعة عن الجذر اللغوي ، على امتداد نصوص القرآن الكريم ..

.. فما نعنيه هو القاسم المشترك لدلالات جميع الكلمات القرآنيّة المتفرّعة عن جذرٍ لغويٍّ واحد ، وعدمُ جعلِ العوالم المختلفة التي ينتمي إليها ما تصفه وتسميه هذه الكلمات حجّةً على المعنى المجرد الذي نعنيه ..

.. وفي بعض الحالات ، تبدو - للوهلة الأولى - المسافة شاسعةً بين دلالات بعض الكلمات القرآنيّة المنتمية إلى جذر لغوي واحد .. ولكن .. بإمعان النظر في المعنى المجرد لهذه الكلمات ، يبدو لنا - جلياً - الإطارُ المحيط بدلالات هذه الكلمات ، وهو ذاته إطار المعنى والدلالات للجذر اللغوي الذي تفرّعت عنه تلك الكلمات ..

.. ولتبيان حقيقة ما نذهب إليه ، وكيف أنّ الدلالات المجردة التي تحملها الكلمات القرآنيّة والجمل القرآنيّة ، أكبر بكثير من تلك الدلالات المسجونة بإطار التاريخ والموروث .. لتبيان ذلك .. سنأخذ - كمثال - الجذر اللغوي ( س ، ح ، ر ) ، وسنحاول رسم إطار المعنى والدلالات النابع منه ، والمحيط بجميع مشتقاته المتفرّعة عنه ..

.. الكلمات المتفرّعة عن هذا الجذر اللغوي في كتاب الله تعالى ، تنقسم - بالنسبة لإدراكنا الظاهري - إلى قسمين :

- قسم يتعلّق بالسّحر ، وهذا الفرع له صلته بمشتقات الجذر ( ف ، ت ، ن ) .. وقد بيّنا في كتاب المعجزة الكبرى ( حوار أكثر من جريء ) ، كيف أنّ عدد مرّات ورود هذا الفرع المتعلّق بالسّحر يساوي - في كتاب الله تعالى - عدد مرّات ورود مشتقات الجذر ( ف ، ت ، ن ) ، حيث يرد كلّ منهما ( ٦٠ ) مرّة ..

- قسم يتعلّق بالسّحر .. ومشتقاته - في كتاب الله تعالى - هي :

## ﴿ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ ﴾ .. من كتاب : سلم الخلاص .. المهندس عدنان الرفاعي ٣

﴿... وَالْقَنَبَتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَعْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [ آل عمران : ١٧ ]

﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [ الذاريات : ١٨ ]

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ﴾ [ القمر : ٣٤ ]

.. ولنبحث - في عرضنا لهذا النموذج - عن مشترك المعنى والدلالات بين هذين الفرعين العائدين إلى جذر لغوي واحد ..  
.. السحر هو تغيير الحقيقة في أعين الناظرين ..

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [ طه :

[ ٦٦ ]

.. فالحبال والعِصِيّ ، هي في حقيقتها لم تكن تسعى ، ولكن موسى عليه السلام خيّل إليه - نتيجة سحرهم - أنها تسعى ..  
.. فالسّاحر هو من يقوم بتغيير الحقيقة في أعين الناظرين ..

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ﴾ [ ص : ٤ ]

.. وكلمة ﴿سِحْرٍ﴾ في قوله تعالى :

﴿كَذٰبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ بِالنَّذْرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ

﴿بِسَحْرِ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ [ القمر : ٣٣ - ٣٥ ]

.. هي ضمن سياق قرآني يُصوّر لنا آليّة نجاه آل لوط وأهله ، وراها تستثني امرأة لوط عليه السلام ، فالحديث في سياق تلك الآيات هو عن آليّة النجاة التي نجيّ الله تعالى - بواسطتها - من نجّاهم من قوم لوط ..

## ﴿ نَجِيْنَهُمْ بِسَحْرِ ﴾ .. من كتاب : سَلْمُ الْخِلاَصِ .. المهندس عدنان الرفاعي ٤

.. ومَّا يُؤكِّدُ صِحَّةَ مَا نَذهَبُ إِلَيْهِ ، هو حرف الباء ( بَاءُ الْوَاسِطَةِ وَالْوَسِيْلَةُ ) في كلمة

﴿ بِسَحْرِ ﴾ ، وكذلك ورود هذه الكلمة بصيغة النكرة .. فالنجاة كانت بواسطة سَحْرٍ ،

وليسَتْ مُجَرَّدَ نِجَاةٍ تَمَّتْ خِلالَ السَّحْرِ ..

.. إِذَا .. الْحَدِيثُ - فِي هَذَا النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ - هو عن آليَّةِ النِجَاةِ وَوِاسِطَتِهَا ، وَلِذَلِكَ

لَمْ يَتَمَّ - فِي هَذَا النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ - اسْتِثْنَاءُ امْرَأَةِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَمَا هو الْحَالُ فِي

النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ الْآخَرَى ، الَّتِي تَصَوَّرُ لَنَا النَّاجِيْنَ ، وَبِالتَّالِيِ تُسْتَشْنَى - فِي تِلْكَ النَّصُوصِ

- امْرَأَةُ لُوطٍ ..

﴿ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ ثَمُودَ مَجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ

﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا لَهَا لَمَنِ الْغَيْبِينَ ﴾ [ الحجر : ٥٨ - ٦٠ ]

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ

أُنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَانجَيْنَهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِن الْغَيْبِينَ ﴾ [ النمل :

٥٦ - ٥٧ ]

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ

يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَانجَيْنَهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْبِينَ ﴾ [ الأعراف : ٨٢ -

٨٣ ]

﴿ فَانجَيْنَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْبِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٧٢﴾

﴿١٧٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴾ [ الشعراء : ١٧٠ - ١٧٣ ]

﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا خُبْ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ

كَانَتْ مِنَ الْغَيْبِينَ ﴿١٢٤﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ

﴿ نَجَّيْنَهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ .. من كتاب : سلم الخلاص .. المهندس عدنان الرفاعي ٥

ذَرَعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَاتُكَ كَانَتْ مِنَ  
الْغَيْرِينَ ﴿ [ العنكبوت : ٣٢ - ٣٣ ]

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿ [ الصافات : ١٣٣ - ١٣٦ ]

.. فهذه النصوص القرآنية لا تتحدث عن واسطة النجاة وكيفيةها ، إنما تتحدث عن النجاة ذاتها ، لذلك نرى استثناء امرأة لوط فيها ، فامرأة لوط مستثناة من آل لوط وأهله في مسألة النجاة ..

.. وكيفية النجاة - التي تمت - تكون بعدم الالتفات إلى ما يحلُّ بقوم لوط حين نزول العذاب فيهم ..

﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِبْ أَهْلَكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ  
الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [ هود : ٨١ ]

﴿ فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا  
حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿ [ الحجر : ٦٥ - ٦٦ ]

.. فالذي سيلتفت ، وبالتالي لا يستفيد من واسطة النجاة ، هو امرأة لوط عليه السلام .. فالتفاتها يُخرجها من ساحة الاستفادة من واسطة النجاة ..  
.. ولذلك في النصّ القرآني ..

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِي إِذْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ مَجِيْنَهُمْ

﴿بِسَحْرِ﴾ ﴿٣٥﴾ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿ القمر : ٣٣ - ٣٥ ]

.. نرى عدم استثناء امرأة لوط ، وهذا يؤكد صحّة ما ذهبنا إليه من أن العبارة القرآنيّة

: ﴿مَجِيْنَهُمْ بِسَحْرِ﴾ تصف كفيّة النجاة وواسطتها ، حيث لم تستفد امرأة لوطٍ من

هذه الوساطة والكفيّة ، ولا تصف هذه العبارة القرآنيّة مسألة النجاة ذاتها ..

.. وهكذا .. فالنجاة كانت بواسطة تغيير الواقع المحيط بآل لوط واستثنائه من واقع

الحاصب الذي أرسل على قوم لوط ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ مَجِيْنَهُمْ

﴿بِسَحْرِ﴾ .. وهذا عين ما تصفه العبارة القرآنيّة ﴿مَجِيْنَهُمْ بِسَحْرِ﴾ ..

.. فكما أن السّحر يغيّر الواقع في أعين المسحورين ، ومن لا يلتفت إلى هذا السّحر

ويستطيع حجب رؤيته عنه لا يتأثر به ، كذلك فإنّ واقع التغيير الذي هو الاستثناء من

الحاصب الذي أرسل على قوم لوطٍ لا يكون إلاّ بعدم الالتفات إلى هذا الحاصب ..

.. لذلك نرى أن امرأة لوطٍ أصابها ما أصاب قوم لوط ، لأنّها التفتت ونظرت إلى هذا

الحاصب .. وبالتالي لم تستفد من أداة النجاة التي هي حجب الواقع الحاصل في قوم لوطٍ

حين إرسال الحاصب عليهم ، وعدم الالتفات إلى هذا الواقع ..

.. إذاً .. كلمة ( سَحَر ) تعني : حجب الواقع المحيط وعدم الالتفات إليه .. ونحن

ياظهار هذه الدلالات لكلمة ( سَحَر ) ، لا نُنكر ساحة الزمان التي تمّت فيها تلك النجاة

.. أبداً .. فهناك عبارات قرآنيّة تبيّن أن موعدهم الصبح ، وأنّ لوطاً عليه السلام أمر بأن

يسري بأهله بقطع من الليل ..

﴿ نَجَّيْنَهُمْ بِسِحْرِ ﴾ .. من كتاب : سلم الخلاص .. المهندس عدنان الرفاعي ٧

﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْنَا بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانَا إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [ هود : ٨١ ]

.. فما بُيِّنَه هو عمق الدلالات التي تحملها هذه الكلمة ، وعمق ارتباطها بالدلالات النابعة من الجذر اللغوي الذي تفرّعت عنه ..  
.. وكلمة ( الأسحار ) في النصين القرآنيين ..

﴿ ..... وَالْقَلْبَيْنِ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ [ آل عمران : ١٧ ]  
﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَعْفِرُونَ ﴾ [ الذاريات : ١٨ ]

.. ترد بصيغة جمع كلمة ( سَحَر ) ، ومجرورة بباء الواسطة والوسيلة ، وليس بحرف الجر ( في ) ، أي بواسطة ( الْأَسْحَارِ ) يتم استغفارهم لله تعالى .. ولم ترد بالصيغة ( في السَحَر ) .. وهذا يدفعنا إلى إدراك دلالاتها بعمق أبعد من مجرد حصرها في وصف فترة زمنية محدّدة معروفة من الليل تتكرّر كلّ يوم ..

.. وهكذا .. يكون معنى كلمة [ ﴿ بِالْأَسْحَارِ ﴾ ] ، [ ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ ﴾ ] في هاتين الآيتين الكريميتين هو : بسبب التغيير وعدم الالتفات إلى الذنوب والخطايا التي يطلبون من الله تعالى غفرانها ..

.. فطلبهم المغفرة من الله تعالى يكون من خلال جهدهم وعزمهم في ترك وحجب ما يطلبون من الله تعالى غفرانه ، وفي عدم الالتفات إليه ..  
.. أي بالتغيير والإعراض عن الخطايا ، وعدم الالتفات إليها ، يطلبون المغفرة من الله تعالى عن هذه الخطايا ، كما أنّ آل لوطٍ نجّاهم الله تعالى من الواقع الذي نزل بقومهم من خلال عدم الالتفات إلى ذلك الواقع ..

.. وكلُّ ذلك معنى مجردٌ لا يخرج عن إطار المعنى المجرد الذي تحمله كلمة ( سحر ) ..  
فكلُّ مشتقات الجذر اللغوي ( س ، ح ، ر ) - الذي اخترناه كنموذج للدراسة -  
تشارك بمعنى مجردٍ لا يخرج في إطاره العام عن إطار المعنى والدلالات التي يحملها هذا الجذر  
اللغوي ..

.. وهكذا نرى كيف أنَّ المنهجية العلمية النابعة من كون جميع مشتقات الجذر اللغوي  
الواحد في كتاب الله تعالى ، يُحيط بما إطارٌ واحدٌ من المعنى والدلالات ، هو ذاته المعنى  
المجرد الذي يحمله ذلك الجذر اللغوي ، تقودنا إلى اكتشاف دلالاتٍ ما كان لنا أن  
نكتشفها لولا اتباع هذه المنهجية ..

.. حينما لا ندخل بحر دلالات القرآن الكريم إلاَّ بتصوّرات مسبقة الصنع ، وعلى أنه  
لا يخاطب غيرنا ، فسنگرق في شطآنه ، دون أن نصطاد شيئاً من درره الثمينة .. فعدم  
فهم دلالات القرآن الكريم إلاَّ من خلال التاريخ يُخرج الروحَ القرآنيَّ من قلوبنا ،  
ويخرجنا من التاريخ ..